كارلوس أرنيتشي في (الجبابرة)

.....

مقدمة البرنامج...

مؤثرات موسيقية.....

الراوي: لم يكن كارلوس أرنيتشي من طراز الأدباء المسرحيين الأعلام أمثال إبسن وأوغست ستريد نبرج واسكندر دوماس الصغير.. فهو لا يحلق تحليقهم ولا يملك مواهبهم في عرض المشكلات الاجتماعية التي يواجهها.

الراوية: كان على الضد من ذلك رجلاً فائق البساطة يرى الأشياء والوقائع كما يراها الناس ثم يعرضها بأسلوبه السهل الممتنع الذي يخيل للقارىء معه أنّ في وسعه أن يكتب مثله.

الراوي: ولد كارلوس ارنيتشي عام 1866 وتوفي عام 1943 م وقد بلغ السابعة والسبعين من العمر. لم يستقل في كتابه أكثر المسرحيات التي نسبت إليه وهي كلها من النوع المتوسط.. وقد بلغ عددها 300 مسرحية.

الراوية: قضى حياته الأدبية كلها وهو يعيش في الظل بعيداً عن ضجيج الشهرة وصخب الجماهير. ومع ذلك فقد بقي حتى آخر حياته يعطي من نفسه فناً جيداً وأدباً معجباً بكل تواضع يكفيه من دنياه أنه يجد رزقه اليومي فيما يقدمه من النتاج المسرحي.

الراوي: وكما يحدث لأمثاله من الكتاب والأدباء الطيبين الودعاء لم يلبث بعد وفاته حتى وجد نفسه في الصف الأول من صفوف الأدباء الأعلام بعد أن كان في أثناء حياته في الصفوف الخلفية.. وليس كارلوس استثناء من القاعدة بالنسبة لكثيرين من الأدباء الذين ينبغي أن يستقبلهم الموت ليكتشف الناس أنهم كانوا من كبار الأحياء.

الراوية: ومن حق كارلوس ارنيتشي علينا أن نقدمه إلى السامع والقارىء لكنه هو شخصياً أقدر على تقديم نفسه بنفسه ولا سيما إذا كان قد ترجم لحياته الخاصة من أجل ذلك ندعه هنا يتكلم عن نفسه ويقدمها تماماً كما عرفها أو كما ظنّ أن يعرفها ها هو يقول:

ضربة موسيقية.....

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

الراوي: يقول كارلوس: أنا رجل عجوز كاهلي يثقله حمل كبير من السنين، ضع أيّ رقم أحببت، فذلك لا يضيرني.. أنا المسؤول عن هذا العبء لأنني عشت هذه السنين كلها إنني رجل طوال، لا زلت منسرح القامة إلى حد ما.. فلبسي منسجم وسط، ووجهي ليس بالقبيح كما يقول بعض من كتبوا عني.. يقولون إنّ هيئتي تشبه هيئة شخصية أمريكية.. لا أدري هل هذا حق لأنني لم أحس أبداً أنني شخصية أو أنني أمريكي.. ولكن هذا التشبيه لا يضايقني، فلندعه كما هو..

الراوية: ويتابع كارلوس الحديث عن نفسه فيقول: "لي عينان ضيقتان وما أكثر ما رأيت من خلال هذه الشقين! وأنفي كبير ومن نوع رديء.. أما فمي فلا أدري كيف هو.. إنّه فم متعب لكثرة ما قال من أشياء لا يحبها ثم أين هو الرجل ذو الفم الجميل؟

الراوي: وينتقل كاتبنا إلى الحديث عن صورته النفسية فيقول: إنني عامل لا أكلّ من العمل وأنا على حق إذ أفخر بذلك حملت النير على عاتقي منذ الرابعة عشر من عمري بدأت عاملاً في متجر ثم صبياً لصحفي ثم أصبحت كاتباً هزلياً وأنا في الثامنة عشرة من عمري وظللت هذا الكاتب حتى اليوم ولم يكن حظي فيه سيئاً.

الراوية: ثم يتحدث عن جمهوره الذي كان يحبه كما يقول.. وعن الصحافة التي وقفت منه موقفاً هو بين بين. وعن الذين اشترك معهم في كتابة المسرحيات والذين اشترك معهم في العمل كله وهنا يدفع عن نفسه تهمة الاستغلال فيقول: "إنني لا أعرف كيف استغل الآخرين ولو كنت قادراً على ذلك لاستغللت نفسي وما تعاونت في التأليف مع أحد من الناس".

الراوي: أما عن مكانته فيقول: "كنت دائماً قانعاً بمكاني من الحياة.. لم أفعل أبداً ما يفعله الكثيرون ممن يدخلون المسرح وفي أيديهم تذاكر لمقاعد في الصف العشرين أو الثلاثين ثم يرشون عامل الصالة بشيء ليجلسهم في أحد المقاعد الخالية في الصفوف الأمامية".

الراوية: ويصف هؤلاء الراشين فيقول: هؤلاء يظلون دائماً في خوف.. كلما دخل داخل تلفتوا، مخافة أن يكون صاحب المقعد الذي يجلسون فيه.. كم مرة رأيت ناساً مكانهم الحقيقي في الصف الثلاثين وجلسوا بالرشوة في الصف الأول أو الثاني، ثم جاء أصحاب المقاعد فعادوا صاغرين إلى مكانهم الحقيقي..

الراوي: ويعود كارلوس إلى نفسه فيقول: أما أنا فلم يحدث لي مثل هذا في حياتي أبداً.. لقد رضيت بمقعدي الذي تخولني إياه تذكرتي في الصف الرابع عشر وقد بقيت فيه لم ينقلني أحد منه لأنه مكاني الحقيقي.

الراوية: ويتابع وصف مكانه قائلاً: "مكاني متواضع.. هذا صحيح.. لكني أجلس فيه هادئاً مطمئناً أقرأ صحيفتي بين الفصول وأتأمل أهل الطموح والحسد والجرأة يروحون ويجيئون في حيرة لا يعرفون لأنفسهم مقعداً وليس لهم في الحقيقة مكان لأنّ الغرور أبى عليهم الاستقرار في مكان".

الراوي: ويختم كارلوس تصويره لنفسه ببساطة الرجل الصادق فيقول: إنني مطمئن وهادىء وهنا أقول لغيري: أيها السادة ليجلس كل منكم في مكانه هذا هو المعقول والعدل.. اذكروا أنه حين يهبط الشتاء على مسرح الحياة سنذهب جميعاً إلى عالم لا سبيل فيه إلى رشوة عامل الصالة لأنّ عامل الصالة هناك هو الزمن.. والزمن لا صديق له.. وهو يجلس كل إنسان في مكانه الذي يستحقه.

الراوية: وقد صدق ظن كاتبنا كارلوس أرنيتشي.. لقد أصر الزمن بعد موته على نقله من مقعده الخلفي المتواضع الذي ارتضاه لنفسه في الحياة الدنيا ثم مضى به إلى مقعد من مقاعد الصفوف الأولى.

الراوي: أما وقد عرفنا كارلوس من خلال قلمه فإنّ في وسعنا أن نختار واحدة من مسرحياته التي نجحت في تقديم نموذج من النماذج البشرية المعاشة في مجتمعه الريفي من إسبانيا إنه نموذج الريفي الفني والمتزعم للقرية ممن يفتنون في إذلال البسطاء من الناس والاستبداد بهم والعبث بمصائرهم سعياً إلى المزيد من المال والسلطان..

فاصـــل موسيقـي.....

الراوية: عنوان المسرحية هو "الجبابرة".. مكان الحوادث هو قرية في إسبانيا قبيل الحرب العالمية الأولى.. بطل المسرحية الأول هو السيد أتليتكو الفني المتزعم للقرية منذ عشرين سنة.. وقد جمع المال بالقسوة والإذلال وبدون شرعية.

الراوي: وكما لكل طاغية شركاء فإنّ للسيد أتليتكو شركاءه.

الراوية: أولهم الكاتب الشيطان الصغير الذي يفتح أمام سيده أبواب النصب والاحتيال ويزور الدفاتر ويبتكر أساليب السرقة.

الراوي: ثانيهم: ممثل الإدارة وهو الشيطان الأخرس الذي يطلب منه أن يسكت ويغمض عينيه والكاتب الصغير يتولى في نهاية كل أسبوع حمل ما يستحق له من الأسلاب.

الراوية: أما الثالث هو الحاجب الشيطان القاسي الذي يتفق مع المتزعم على الأحكام والغرامات التي يجب أن يوقعها بالناس ثم يجر من يقع الاختيار عليهم من المخالفين والمعارضين إلى السجن حيث يضاعف لهم العذاب.

الراوي: ولعل من المفيد أن نقدم صورة سريعة للفصل الأول من مسرحية "الجبابرة" حيث تتضح فيه الصورة الواقعية لبطل المسرحية السيد أتليتكو..

فاصل موسيقـي.....

صوت (1): هل تصدق يا عزيزي أنّ ثلاثة من سكان هذه القرية يجتمعون على الكذب والافتراء؟

صوت (2): لو لم أشهد ما شهدت ما صدقت أبداً.

صوت (1): حسن.. هذا طبيبنا البيطري جاء يزعم أنني لم أسلمه اللقاح اللازم للبقر مع العلم أنني سلمته إياه شخصياً فأضاعه.. فما تظن أن تكون عقوبته؟

صوت (2): العقوبة يا سيد أتليتكو هي الغرامة أو السجن ولا ثالث لهما.

صوت (1): أحسنت.. فقد أنصفت بما اقترحته.. والآن ما رأيك يا عزيزي الطبيب؟ تنصرف أم تدفع الغرامة أم تدخل السجن.

صوت (2): "يضحك" أحسن الطبيب صنعاً إذ اختار الانصراف.

صوت (1): وهذا القروي الذي جاء يشكو من أنه لم يأخذ نصيبه من ماء الري وأنت تعلم أنه قد أخذ حقه كله فروي وروينا والحمد لله؟

صوت (2): الكذب يا سيد أتليتكو هو بلاؤنا في هذه القرية. الكل هنا يزعمون أنهم مظلومون وهم في الواقع يكذبون.. يأخذون وينكرون.. هذا غش وتزوير.

صوت (1): صدقت يا عزيزي.. وعقوبة التزوير والغش كما أعلم شديدة قاسية.. قل لي: ماذا تقترح لهذا الكاذب؟

صوت (2): العقوبة.. على أن تكون شديدة رادعة يا سيد أتليتكو..

صوت (1): أعتقد أنه لن يعرض نفسه لهذه العقوبة.. فهو يفضل أن يدفع ثمناً لما يحتاج إليه من الماء.. "يلتفت إلى القروي" ماذا يا صديقي؟ إنني كما ترى رجل طيب لا أحب أن أوذيك.. فانصرف يرحمك الله..

صوت (2): " فترة صمت " ثم ضحك.. يحي العدل.. هذا هو العدل الحقيقي.

صوت (1): وبذلك نكون قد تخلصنا من ادعاءات الطبيب البيطري والقروي صاحب الأرض غير المروية ورفيقهما الثالث.

صوت (2): ويفوز كل منا بحصته من هذه الصفقة.

صوت (1): طبعاً طبعاً.. يا عزيزي.. أدع لي الكاتب فهو خير من يعتمد في مثل هذه القضية..

فاصل موسيقي.....

الراوية: ويخرج العمدة ومن معه لتدخل امرأته وأخته.. ونستمع إلى حوارهما فنكتشف أنّ أخته واحدة من ضحاياه فقد وضع يده على ميراثها ورفض تزويجها لتظل أسيرة بين يديه..

الراوي: ولذلك فإنّ أخته تكرهه وتكره زوجته.. ولما فعل السيد أتليتكو مع أخته أراد أن يفعل الشيء نفسه مع ابنة أخيه الجميلة التي توفى أبوها عنها.. لقد رفض زواج أخته من شاب أحببته.. كما عارض زواج ابنة أخيه من شاب آخر نزل بالقرية ثم هرب الخطيبان قبل أن يدبر لهما السيد أتليتكو تهمة تدخلهما إلى السجن..

الراوية: وقبل أن ينته الفصل الأول يتلقى أتليتكو خطاباً سرياً من أحد أعوانه في مدريد يقول له فيه: إنّ الحكومة قررت انتداب اثنين من المفتشين ليحققا في الشكاوي المرفوعة إليها ولينظرا في الدفاتر الرسمية.

الراوي: وفي الفصل يبدو أتليتكو وكاتبه في هم عقيم لأنهما يفكران في الطريقة التي تحول بين المفتشين وبين الناس موهماً يستعرضان الأساليب الممكنة ويضعان الخطط اللازمة.

الراوية: ولا عجب في ذلك فإنّ أتليتكو بالاتفاق مع كاتبه وحاجبه وممثل الادارة الرسمية في قريته قد أغلق المدرسة الرسمية وقيد أسماء وهمية لملجأ العجزة الذي تنفق عليه الحكومة وأبطل كل المشروعات وحول الميزانيات المرصودة لأغراضه الشخصية.

الراوي: وينتهي الحوار بتغلب رأي الكاتب الذكي على أتليتكو.. فبينما يقترح هذا الأخير الاعتداء على المفتشين قبل وصولهما إلى القرية يرى الكاتب أنّ الرشوة هي الوسيلة المفضلة ويقترح أن يستقبل المفتشان أحسن استقبال وأن يوسع عليهما في النفقة غاية التوسعة وأن تقدم إليهما كمية من المال على صورة هدية..

الراوية: ثم تبدأ المفارقات حين يسمع أتليتكو أنّ رجلين غريبين قد نزلا في فندق القرية ويظن أنهما المفتشان اللذان جاءا متخفيين لمعرفة الحقيقة.

الراوي: ويفاجأ النزيلان بمعاملة طيبة جداً وبإكرام عظيم من قبل صاحبة الفندق التي تتصرف بتوجيه من السيد أتليتكو.. ثم يتبين في نهاية الفصل أنّ النزيلين هما شاب صغير ورجل في العقد الرابع من العمر.. الأول هو الذي أحب ابنة أخ أتليتكو والثاني هو حبيب أخته..

الراوية: أما الفصل الثالث فيتألف من مشهدين.. في المشهد الأول حفل استقبال عظيم يعده أتليتكو للنزيلين ويلقي أمامهما كلمة ترحيب تعقبها كلمة أخرى طويلة للكاتب ثم كلمة ثالثة لامرأة عانس تم الاتفاق معها على تمثيل دور المدرسة.. ثم ينتهي الحفل بعد حوار مع طلاب وطالبات مزورين ويخرج الموكب بموسيقاه وطبوله.

الراوي: ويلاحظ بطل المسرحية أنّ نظرات الشاب قد تسمرت على ابنة أخيه فيوصيها بالاهتمام ويقول لها: أريد أن يقع في حبك.. افعلي ما تستطيعين فعله للإيقاع به.. إنها أعظم خدمة تسدينها لعمك أتليتكو.. وتعجب الفتاة لإلحاح عمها وهو الذي رفض تزويجها من قبل لكنها لا تبالي فالأمر يسرها ويعيد الأمل إليها.

فاصل موسيقي....

الراوية: ويأتي المشهد الثاني الذي نرى فهي النزيلين الغريبين الخال وابن اخته الشاب في غرفة الاستقبال ويتبين لنا أنّ الخال قد أدرك الموقف فلا يجد ضيراً في استمراره.. أليس أنّ في التكريم والاحترام ما يمتع ويسر؟

الراوي: وتمضي فترة قصيرة تصل بعدها هدية صغيرة من الأوراق المالية يرسلها السيد أتليتكو للنزيلين الغريبين اللذين يظن أنهما المفتشان المنتدبان من قبل السلطات في مدريد فتكتمل اللعبة وتبلغ عدداً رئيسياً من أبعادها.

الراوية: ثم تأتي الفتاة تنفيذاً لتعليمات عمها ومعها عمتها شقيقته. ويتلاقى الأربعة فيتبادلون عبارات الدهشة فالعتاب فالكلام الغزل اللطيف.. وينتهي اللقاء بخروج العمة وابنة الأخ بعد اتفاق الأربعة على الفرار في وقت لاحق.

الراوي: ويعلم السيد أتليتكو أنّ الهدية المالية قد قبلت فيطمئن ويقرر طرح الموضوع أمام المفتشين المزعومين بكل صراحة والطلب إليهما في التعاون معه على ترتيب الدفاتر على نحو يرضى عنه المسؤولون في العاصمة.

الراوية: ويصل السيد أتليتكو وكاتبه ويجري بين الفريقين كلام حافل بالسخرية والفكاهة والمفارقات ثم يبادر الكاتب الذكي الدقيق إلى فتح الدفاتر ويمضي يشرح ما فيها من تزوير وتلاعب وفي ظنه وظن سيده أنهما يقوما بأعظم صفقة رابحة في حياتهما وفي أثناء ذلك يفتح الباب ويطل منه رجلان يستمعان بصمت إلى كل ما يقال.

الراوي: وهنا تكون المفاجأة التي تنهار بها أحلام السيد أتليتكو وكاتبه فالرجلان يعلنا عن نفسيهما أمام الجميع: إنهما المفتشان الحقيقيان اللذان انتدبتهما الدولة للتحقيق في شكاوي الناس.

الراوية: ويتهاوى كل من بطل المسرحية وكاتبه.. لقد فوجئا متلبسين بالجريمة ولا سبيل إلى النجاة ويأخذ المفتشان كل الدفاتر ثم يغادران المكان ومن ورائهما فريق من الحرس الوطني يمشي بينهم أتليتكو والكاتب ذليلين وبقلبين كسيرين.

الراوي: أما الخال وابن اخته فيسعدان بالنهاية التي انتهيا إليها ويتوجهان إلى المحطة حيث تواعدا مع الحبيبتين على اللقاء ثم الهرب من القرية.

فاصل موسيقي.....

الراوية: وهنا نتساءل: ما هو حظ هذه المسرحية من الجدة والقوة؟ هل هي من طراز المسرحيات التي كتبها أمثال أبسن وستريد نبرج واسكندر دوماس؟ وهل تحلق في ترتيب الأحداث واستبطان المشاعر الإنسانية؟

الراوي: الحقيقة أنّ مسرحية "الجبابرة" ليست مثيرة عنيفة بالمعنى الذي نعرفه لمسرحيات الكبار ولكنها مع ذلك تتميز بالبساطة والحوار اللطيف والحبكة الذكية حتى أنّ بعض النقاد يقارنها ببعض القصص الفكاهية التي تنسب إلى شكسبير.. ركيزتها الأساسية حيلة أو التباس لا يلبث أن ينكشف قبل نهاية المسرحية.

الراوية: ويلاحظ أنّ الفكاهة في مسرحية الجبابرة تستوعب في الوقت نفسه البعد المأساوي بحيث تختلط عند المشاهد أو القارىء ابتسامة السخرية الهازلة بدمعة المأساة المؤلمة وتبقى رغم تخلفها عن نتاج شكسبير من حيث العمق والقوة طرازاً لطيفاً من النتاج الأدبي الجميل..

فاصل موسيقـــي.....

الراوي: وبعد.. فإنّ من واجبنا أن نتساءل أيضاً: هل يكتب لمثل هذا الأدب البقاء؟ أم أنه سيغيب مع ما يغيب من نفايات الفكر والفن بمرور الأيام؟

الراوية: والراجح أنّ هذا الأدب باق لسبب بسيط هو أنه أدب صادق.. ليس فيه تقنية العقل المقعد.. وليست فيه شطحات الرمزية المغرقة.. بل هو تصوير لما يجري في حياة الناس بدقة وأمانة دون مبالغة أو تزيد وما دام أنّ الخير والشر والطهر والفساد والذكاء والغباء والحظ الطيب والنحس الخبيث ظاهرات موجودة في حياة الناس وصفات موصولة بعقولهم وبأخلاقهم فإنّ مثل هذا التصوير الأدبي يبقى التعبير الصالح عما يجده البشر في نفوسهم وما يواجهونه في حياتهم اليومية.

الراوي: وبعبارة أخرى: نستطيع أن نقول أنّ نوع من الأدب الذي ينجح في اتخاذ صفة الصديق المسامر فيحسن طرح الموضوعات ويصدق في الوشوشة ويكون صريحاً في مواجهة القضايا بمزيج من السخرية الفكهة والجد الرصين.

موسيقى نهاية..